اساسيتين موجودتين على الساحة الفدائية تلقيان من الحزب روح الحرص والدعم كان من الممكن ان يعطي ثمارا ايجابية اكثر بكثير من بقاء مناضلي الحزب داخل صفوف حركة فتح . ناهيك عن الاخطار التي كان من الممكن ان تنجم عن استمرار هذا البقاء .

ولم ينقطع الحوار مع فتح يوما . بل كان معها ومع الديمقراطية الشعبية مفتوحا باستمرار — وان لم يكن مقطوعا مع غيرهما — رغما عن اختلاف نظرة الحزب لكل من المنظمتين . وكثيرا ما اثمر هذا الحوار واعطى على الصعيد النظري صورة افضل للمستقبل ، لكنه ككل قرار او تصور نظري يبقى في حدود النظريات . وللحقيقة ان حركة فتح كثيرا ما كانت تطمع في هذا الفهم .

على ان قواعد الصاعقة كثيرا ما كانت تتمرد على استمرار اللقاء الذي لم يعط ثمرة واحدة لانها كثيرا ما كانت توعد من قيادتها بآمال افضل وبالتوصل الى صورة مرضية وتصور للقواعد ان حركة فتح قدمت تنازلات معينة ومحدودة تمثل بالنسبة لقواعد الصاعقة حدا ادنى يمكن القبول به .

ولنكن صريحين اكثر وخاصة في هذه الفترة بالذات التي لم تعد تحتمل الا مصارحة الجماهير بكل شيء . لقد تجاوزت قواعد الصاعقة قيادتها في اكثر من تصور حتى انها طرحت علنا اثر الخلاف مع فتح في اوائل عام ١٩٧٠ اللقاء مع يسار المقاومة مهما كانت اخطار محورة العمل الفلسطيني ، وبالفعل فقد تم اللقاء مع كل من الجبهة الشعبية (جورج حبش) والشعبية الديمقراطية وقوات الانصار في قائمة تقدمية علنا ضد قائمة حركة فتح في انتخابات اتحاد عمال الاردن كما تكررت صورة مماثلة في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع دمشق . في الوقت الذي كانت فيه قيادة الصاعقة تتفق مع حركة فتح على صيغة او اخرى واكثر من ذلك كله ان القواعد اصرت على موقفها ونفذت ضاربة بكل الاوامر والتعليمات التي صدرت اليها من قيادتها عرض الحائط (موقف عاشته الفصائل الاخرى) .

هاتان الحادثتان من جملة حوادث كثيرة يمكن التعرض لها . ولعل عمليات الصدام مع النظام الاردني في اكثر من منطقة باللقاء مع يسار المقاومة بعيدا عن تعليمات القيادة من خلال تجاوز قواعد المنظمة وعدم تسليمها بالفهم الخاطيء لعملية الدفاع عن النفس واللهاث وراء الاحداث وشعارات عدم التدخل ، ادلة اخرى تؤكد عدم اللقاء في بعض الظروف والمراحل السابقة .

صحيح ان تمرد القواعد مع كل ادراكها مسبقا على عدم جدوى الحوار جاء متأخرا ولكنه يبقى حقيقة يجب ان تقال . على انه ليس من الانصاف أن نقول أن الصاعقة وحدها اسهمت في استمرار نقاط الضعف لكن مجمل فصائل حركة المقاومة اسهمت بنسب مختلفة في استمرارها نتيجة لعقدة الثورة الفلسطينية نفسها والكامنة اساسا في العصبية التنظيمية لدى كل فصائلها . تلك العقدة التي لا زالت تشكل سببا من اسباب عدم قدرة الثورة على مواجهة ازماتها .

يلاحظ ان منظمة الصاعقة لم تعط للجانب السياسي والجماهيري من النضال المسلح الاهمية التي تستحقه ، وبقيت لذلك ضعيفة التاثير في الحركة اليومية للعمل . هل توافقون على هذا التصوير ، وما هي اسبابه ؟

عندما نقول وعندما يسلم معنا الجميع بأن الصاعقة هي نتاج حزب قومي مناضل تاريخيا ، وقبل ميلاد حركة المقاومة بما يقارب ربع قرن من الزمن حزب له جذوره وله جماهيره يدرك ان في صيغة السؤال مغالطة . ولعل المغالطة لا تكمن فقط في التغني بتراث الحزب ونضاله فحسب بل ان الصاعقة التي جاء ميلادها متأخرا على الساحة